التصوف عند سفيان الثوري

حنان نوري الياس

مقدمة:

ان من اهم اعلام التصوف الاسلامي شخصية كبيرة هو سفيان الثوري. ذلك هو الصوفي الكبير ذلك الذي كان له منهجا مستقلا حيث جمع بين التصوف الاسلامي وعلم الحديث وروايته حيث لقب (بامير المؤمنين في الحديث) وهي رتبة عند المحدثين لا ينالها الا من نال اقصى غايات

هذا العلم وهو بالاضافة الى ذلك عالما فقيها مجتهدا مفسرا ومحدثا قل نظيره وله في التصوف منهجا خاصا فيرى ان من اهم قضايا التوكل هو الاخذ بالاسباب فيعتبر ان الانسان الصوفي لابد ان ياكل من كسب يده وانه يجب عليه ان لا يقبل هدايا السلطان وصدقات الاخرين وان الحديث الشريف يتمثل به حيث يقول عليه الصلاة والسلام (اليد العليا خير من اليد السفلى) . اما شيوخ سفيان الثوري الذي عدل ابو نعيم ذكرهم فقد عد المؤرخون كثيراً منهم :

١ـ عمر بن مرة
٢ـ سعيد بن مسروق والد سفيان
٣ـمسلمة بن كهيل
٤ـ عمر بن دينار
٥ـ عبدالله بن دينار
٦ـ حبيب بن ابي ثابت
٧ـ اسماعيل بن ابي خالد
٨ـ الاسود بن قيس
٩ـ ايوب السخستاي
١٠ـ العلاء بن عبد الرحمن

وخلق لايحصون كما يقول ابن الجوزي ويقول بعض المؤرخين : (يقال انه اخذ العلم عن ستمائة شيخ) أما عن تلاميذ سفيان فاننا نجد صعوبة في احصاء تلامذته والرواة عنه ، اذ ان مئاة من العلماء ملؤا كتب الحديث والفقه بالرواية عن سفيان وفي مختلف العلوم ، وذكر الخطيب البغدادي في تاريخه عددا منهم ، مثل:

١ـ محمد بن عجلان
٢ـ ابن عينيية
٣ـ زهير ابن معاوية
٤ـ معمر بن راشد
٥ـ فضيل بن عياض
٦ـ سليمان بن بلال
٧ـ محمد بن اسحاق
٨ـ عبدالله بن المبارك
٩ـ حماد بن مسلمة

ان اكبر أثر في حياة سفيان الثوري هو عصره العلمي الذي نشأ فيه ، فقد كان عصره فاتحة لأزهى عصور العلم ، حيث تشعبت ميادين العلم وتنوعت ، وتوسعت العلوم بصورة عامة ، وكان ايضا عهد تضخم الفقه وتدوينه وتدوين السيرة النبوية وأكثر العلوم الشرعية بصورة خاصة ، فقد كان عهد تدوين وتأليف وكتابة وجمع واجتهاد .

لقد اهلت المقادير لان يكون سفبان محدثاً من كبار المحدثين وفقيها من كبار الفقهاء فاجتمع في سفيان الحديث والفقه .

كان سفيان امير المؤمنين في الحديث ، ولقد كان تقدير العلماء له في الحديث والفقه تقدير يتناسب حقاً مع مكانته التي بلغها حيث يقول الثوري : (اذا فسد العلماء من بقي في الدنيا يصلحهم)

لقد عاصر سفيان وهو في قمة نضجه ابا جعفر المنصور الذي تولى الخلافة سنة (١٣٦هـ ـ ٧٥٣م) وعاصر المهدي الذي الذي تولى الخلافة (١٥٨هـ ـ ٧٧٤) ، وكان سفيان لايتودد اليهما كثيرا ولا يحب لقائهما ، فاذا اصبح امامهما وجها لوجه باي سبب من الاسباب ماكان يدع النصيحة ولايتخلى عن كلمة الحق .

يتضمن البحث مقدمة و فصلين ، الفصل الأول بعنوان سفيان الثوري وتصوفه والذي يتضمن ثلاث مباحث المبحث الأول تناولت فيه حياة سفيان الثوري والمبحث الثاني تناولت فيه الزهد عنده والمبحث الثالث تناولت فيه مجاهداته .اما الفصل الثاني والذي كان بعنوان العبادات عند سفيان الثوري تكون ايضا من ثلاث مباحث المبحث الأول بعنوان تصوف سفيان الثوري وعباداته ، والمبحث الثاني تناولت فيه اراء العلماء فيه والمبحث الثالث والاخير تناولت فيه كراماته . كما يتضمن البحث الخلاصة وترجمة باللغة الانكليزية لخلاصة البحث . ومن الله التوفيق

حياته

هو الامام ابي عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ، ولد سنة سبع وتسعين وخرج من البصرة سنة خمس وخمسين ومائة ، وتوفي بالبصرة سنة احدى وستين ومائة ، وكان عالم هذه الامة وزاهدها وعابدها ، كان ابوه من ثقاة المحدثين([1]) نشأ سفيان دون اختيار منه بين كتب الحديث وتفتحت عيناه واتجه الياً في دراسته وجهة ابيه ، ومن ذلك يقول هو : (اطلب العلم فلم تكن لي نية ، ثم رزقني الله النية أي انه طلب العلم اولاً بحكم العادة البحتة ثم وفقه الله سبحانه وتعلى لانه يقصد وجه الله ([2]) ، ولكن مما يجدر ملاحظته ان المحدثين اذ ذاك ماكانوا ياخذون على الحديث أجراً لقد كانوا يتمثلون قول الله تعالى : (قل لأسألكم عليه أجراً ان هو إلا ذكرى للعالمين) ([3]) يبدو ان سفيان وان كان قد نشأ في جو علمي فيه النور والاشراق والصفاء وفيه باستمرار ذكرى الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم إلا انه لم يكن من ذوي الثراء العريض ونشأ في جو من التقشف بيد ان جو الاسرةكان جواً كريماً ،فقد كانت ام سفيان من النساء الحصيفات التقيات ، وقد كانت ذات عقل وتقوى [4] أي ان جو الاسرة الذي كان يعيش فيه سفيان الثوري ، كان جو مثقف وكان يتسم بالتقوى والصلاح ، ونشأ بين أب من ثقاة المحدثين وام تريد أن تعوله بمغزلها ليطلب العلم من اجل زيادة النور في قلبه ، ونظرة الام الى هدف العلم ، إنما هي النظرة التي تسود نلك البيئة إذ ذلك عليها ٠([5]) وان العلماء ورثة الانبياء ، وإن الانبياء لم يورثوا ديناراً .

ولا درهماً ، وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذه بحظ وافر وبدأ سفيان يتعلم اتباعاً لأبيه وإستجابة لرغبة امه ، ولكن سفيان بمجرد أن دخل دور الشباب ، بدأ يفكر جدياً في أمر معيشته ، وليس من الطبيعي أن يغتبط سفيان وهو الفطرة الصافية ، بأن تعوله امه بمغزلها أو أن تستمر في اعالته بمغزلها ([6]) بيد ان سفيان تنبه بسرعة الى ان المال ضروري للانسان على أي وضع كان الانسان ، انه ضروري له ، لو أراد أن يسير في حياته على أن يكون عالماً ، والعابد لا يأخذ على عبادته أجراَ والعالم لايأخذ على علمه أجراَ ، لابد إذن من التكسب ومن المال يقول سفيان هذه الكلمة المدوية : (عليك بعمل الابطال ، والكسب الحلال ، والانفاق على العيال ، ولما سئل عن الحلال ماهو ؟ قال تجارة برة ، أو عطاء من امام عادل ، أو صلة من أخ مؤمن ، أو ميراث لم يخالطه شيء) ويقول لهؤلاء الذين يريدون أن يلتزموا المساجد أو

---

[1] – الشعراني ، ابو المواهب عبد الوهاب بن احمد بن علي ، الطبقات الكبرى ،المطبعة الشرقية ، مصر ١٢٩٩هـ ، ص٤٠.

[2] – عبد الحليم محمود ، سفيان الثوري امير المؤمنين في الحديث ، الناشر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٠،ص١٠ .

[3] – سورة الانعام اية ٣٠ .

[4] – عبد الحليم محمود ، سفيان الثوري امبر المؤمنين في الحديث ، ص٢ .

[5] – المصدر نفسه ،ص٢٤.

[6] – جودة محمد ابو اليزيد المهدي ، بحار الولاية المحمدية في مناقب اعلام الصوفية ،دار غريب للطباعة ةالنشر ، القاهرة ١٩٩٨، ص٧٠

الخلوات للعبادة : (اذا أردت أن تتعبد فأحرز الحنطة) أي ليكون قوتك موفوراً عندك من كسبك ، ويعزز قوله بأخبار العباد انه يخاطبهم كلما صادفهما قائلاً : (ياعباد ، ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق ولاتكونوا عالة على الناس ([٧]) . اما من حيث منهجه فقد كان لسفيان شخصية علمية من حيث الحديث والتفسير والفقه وسائر العلوم الشرعية وقد كان عهده عهد تدوين وتأليف وكتابة وجمع واجتهاد وعهداً علميا ذهبيآتوسعت فيه الاراء العلمية ، مما ملأ مئات المجلدات الضخمة والموسوعات الكبرى ، وكانت خير ذخيرة تفتخر بها الامة على مدى العصور وتحل بها مشاكلها ([٨]) .

زهده

سفيان الثوري واحد من صوفية الرعيل الأول وقف على ذروة الحقيقة منادي للهدى والدعوة الى المحمدية ، ينطق لسان حاله من وحي الرسالة المحمدية الشريفة (قل هذا سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن أتبعني)[٩] فلقد كان من أخيار التابعين للهدى المحمدية ولقد طبق التبعية السلوكية بأشرف مفاهيمها وأنبل صورها فتجسدت فيه القدرة وتحققت فيه الأمانة [١٠]على هدى القرآن، سار سفيان الثوري في زهده .فقد اتسم التصوف لديه بالطابع السلوكي ، يروى بشر بن حارث إن سفيان سئل : أيكون الرجل زاهدا ، ويكون له المال ؟ قال : (نعم ، إن كان إذا أبتلى صبر،وإذا أعطى شكر) وأمر الزهد في الدنيا يتلبس على كثير من الناس ، يظن بعضهم أنه التجرد من كل شيء ، وليس الأمر كذلك عند الصوفية ،ولم يكن كذلك عند الصحابة ،فقد كان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) صاحب تجارة وثراء ،وكان عثمان بن عفان(رضي الله عنه) صاحب مال وثراء ، وكانوا زهادا أي إن المال لم يكن يستبعدهم لقد ملكوا المال ولم يملكهم المال ، وكانوا متحققين بقول الله تعالى : (لكي لا تأسوْا على مافاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم) [١١]

وكان من مظاهر زهدهم الجميلة إن أبا بكر (رضي الله عنه) جاء في يوم من الأيام بماله كله متبرعا به في سبيل الله ، ولما قال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما أبقيت لعيالك قال: أبقيت لهم الله ورسوله ويأتي سيدنا عثمان (رضي الله عنه) بمال كثير فيضعه بحجر الرسول (صلى الله عليه وسلم)متبرعآ في سبيل الله فيسر الرسول بكثرته التي تدل على سماحه سيدنا عثمان [١٢]. لقد كان سفيان يحث على الكسب ويدعو الى الزهد ، ومن حثه على الكسب والعمل ماقاله عن مبارك بن حماد قال :سمعت سفيان يقول لعلي بن الحسن فيما يوصيه عليك بالكسب

---

[٧] – الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان التركماني المصري ، سير اعلام النبلاء ،تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، ١٩٥٦، ص٢٥٥.

[٨] – احمد توفيق عياد ، التصوف الاسلامي ومدارسه واثاره، مكتبة الانجلو المصرية (د ت).

[٩] – سورة يوسف : الآية ١٠٨

١٠– جودة محمد أبو اليزيد المهدي ، بحار الولاية المحمدية في مناقب إعلام الصوفية ، ، ، ١٩٩٨ص٧٠

١١–عبد الحليم سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث ،دار المعارف، ٢٠٠٦ ص ١٥٠

[١٢]– المصدر نفسه، ص ١٥٠

الطيب وهو ماتكسب بيدك وإياك وأوساخ الناس [١٣] أن تأكله أوتلبسه. . فالذي يأكل أوساخ الناس هو يتكلم بهوى[١٤] ويتواضع للناس مخافة أن يمسكوا عنه ، ويا أخي إن تناولت من الناس شيئآ قطعت لسانك وأكرمت بعض الناس ، وأهنت بعضهم ، مع ما ينزل بك يوم القيامة فالذي يعطيك شيئآ من ماله ، فأنما هو وسخه ، وتفسير وسخه تطهير عمله من الذنوب ، وأن تناولت من الناس شيئآ إن دعوك الى منكر أجبتهم . ياأخي جوع وقليل من العبادة خير من أن تشبع من أوساخ الناس وكثير من العبادة ، وقد بلغنا ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال (لو إن أحدكم أخذ حبلآ ثم أحتطب حتى يدْبر ظهر كان خيرا له من أن يقوم على رأس أخيه يسأله أو يرجوه يقول سفيان :(ليس الزهد في الدنيا بلبس الخشن ، والأكل الخشن أنما الزهد في الدنيا قصر الأمل) [١٥]

(ومع هذا يرى سفيان تهافت الناس على الدنيا، وذلتهم في طلبها) ويعني الزهد أن يصرف المرء وجهه عن الدنيا إذا أقبلت عليه ، مؤثرآ رقة الحال في العيش على الرفاه والسعة . حتى لايشغله شيء من أمرها (الدنيا) عن ذكر الله وعبادته والعمل للآخرة . فالزهد بهذا المعنى يعني إيثار ألآخرة والعمل لها على الدنيا والانشغال بها . ولا يقال للفقير زاهدآ لمجرد فقره وعينه على الدنيا يشتهي مباهجها[١٦] فرب ميسور أزهد من فقير وعلى حد قول سفيان إذا أبتلي صبر وإذا أعطى شكر وفي نفس الوقت لا يمكن نفي الزهد عن الفقر إذا وطن نفسه على رقة الحال ورضى به قانعآ،لا يشتهي هذا أو ذاك مما عليه الميسورون[١٧] ولما لم يكن الثوري شخصا عاديا ،فهو من العلماء والأعلام كان لابد أن يكون للزهد عنده مفهوم أشمل وأوسع وأعمق ، فهو ابتدآ يرى ان للزهد فضيلة ربما لاتتكر في غيره ، بقوله: (ان من زهد في الدنيا أنبت الله الحكمة في قلبه ، وأطلق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا ودواءها) [١٨] ولكي يتحقق للمرء زهده في الدنيا يجب أن يزهد اولآ في أهل الدنيا ومحبيها ، يقول الإمام الثوري : اني لاأعرف محبة الرجل للدنيا بميله لأهل الدنيا وإرساء السلام لهم فقد يكون المرء ليس له من الدنيا إلا أدنى حظ [١٩]، ولكنه إذا أحب أهل الدنيا وتملق لهم وتقرب اليهم أصبح منهم فالمرء مع من احب فيكون كل ذلك دليلآ على توطن حب الدنيا في قلبه وتعلقه بها ،فما الذي يؤل اليه مثل هذا المرء ؟ يجيب سفيان على ذلك بقوله : لو ان عبدآعبد الله تعالى بجميع المأمورات ، الإ أنه يحب الدنيا بما في ذلك أهلها نودي عليه يوم القيامة على رؤوس أهل الجمع ، ان فلانا قد أحب ما أبغض الله تعالى فيكاد لحم وجهه يسقط من الخجل [٢٠]ويقول مرة أخرى فيما رواه

---

[١٣]– أوساخ الناس : هو ألصدقه

[١٤] – يتكلم بهوى : من يتصدقون عليه منحرفا عن الحق

[١٥] – عبد الحليم محمود سفيان الثوري أمير المومنين في الحديث ص ١٥٨

[١٦] – د. موفق سالم نوري ، الإمام سفيان الثوري دراسة تاريخية ،دار الشؤن الثقافية العامة التابعة لوزارة الثقافة العراقية، ٢٠٠٤،ص ٤٢

١٧ – الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، لمكتبة الآداب (على حسن) ، ١٩٩٣ص ٤٩

١٨ – الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ج٦ ،بيروت ١٩٦٩، ص ٣٨٩

[١٩]– الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص ٤٩

[٢٠] – الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ج١، ص ٤٩

وكيع [٢١]: الزهد في الدنيا ،قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا بلبس العباءة ومع هذا فان سفيان يرى تهافت الناس على الدنيا وذلتهم في طلبها فيحاول ما استطاع ان يصرفهم عن المهانة والذلة وأن يبين لهم خسة هؤلاء الذين لشهواتهم ويذلون للأثرياء والملوك .

عن يحيى بن يمان قال : كان سفيان يتمثل هذا البيت :

باعوا جديدا جميلا باقيا ابدآ بدارس خلق ، يائس ما اتجروا

وايضأ عن وكيع يقول : سمعت سفيان يقول : (لا تجيبوا دعوة إلا دعوة من ترون ان قلوبكم تصلح على طعامه) [٢٢]

مجاهداته- [٢٣]

كانت العبادة بشتى ضروبها عند سفيان هي القوت والغذاء ،(العمل والكسب من يده)او التماس الرزق الحلال وان لاتتطلع الى الاخرين ، ولقد عرفت عنه شدة المجاهدة وبذل الجهد في الطاعة ، وقد سئل عن جهده الخارق للعادة فأجاب بمنطق العلم ونور عرفاني فقد نقل الإمام النبهاني (رضى الله عنه) قائلآ : (حكي ان الثوري كلمَه أصحابه لما رؤا عليه من شدة الخوف وكثرة المجاهدة فقالوا له ياشيخ لو نقصت هذه المجاهدة التي نراك فيها نلت مرادك إن شاء الله تعالى فقال لهم كيف لاأجتهد كل الأجتهاد وقد بلغني إن أهل الجنة يكونون في منازلهم فيتجلى لهم نور عظيم تضيء له الجنان الثمان من شدة ضيائه ومن بهائه فيظنون إن ذلك النور من قبل الرحمن سبحانه وتعالى فيخرون ساجدين فينادي مناد ارفعوا رؤسكم ليس هذاالذي تظنون إنما هو نور حورية تبسمت في وجه زوجها فظهر من تبسمها هذا النور ، فليس ياأخواني يلام من أجتهد في طلب الحور الحسان فكيف بمن طلب المولى الرحمن ؟)

وهكذا تتوافر الداعية ولكنها لذات الله لالطلب نعيم أو خوف عذاب أليم بل طلبا للرضاء واتقاء للسخط [٢٤] كذلك عرف عن سفيان شدة الورع [٢٥] حتى كان حجة وإماما للورعين في عصره وقد حدا به ورعه الى الفرار من السلاطين والأمراء ، وقد كان هارون الرشيد يتمنى أن يجلس معه لكن الإمام سفيان كان يزجره من بعيد ويحذره من ظلم الرعية ،وكان هارون

---

[٢١] – هو وكيع بن جراح بن مليح يكنى ، أبا سفيان الرواسي بن ثابت الجرزي قال احمد بن حنبل (سبقت له الترجمة) لورأيت وكيعا لعلمت انك ما رأيت مثله في العلم والحفظ . ولد سنة ١٢٩هـ وتوفي سنة ١٩٧هـ ، ينظر الشعراني الطبقات الكبرى

[٢٢] – عبد الحليم محمود سفيان الثوري، امير المؤمنين في الحديث،ص٥٥

[٢٣] – المجاهدة : حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل حال . ينظر المصطلح الصوفي ، ابن عربي جمعية المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ج٢ ، ١٩٤٨..

٢٤– ينظر الإمام النبهاني ، جامع كرامات الأولياء ، ج٢ المكتبة العصرية–بيروت،١٩٧٨، ص٩٨.

[٢٥] – الورع : هو اجتناب الشبهات خوفا من الواقع في المحرمات ، وقيل ملازمة الاعمال الجميلة. ينظر الجرجاني ،التعريفات ،نشرة محمد صديق المنشاوي ، ص٢١١.

الرشيد يبعث في المدائن والأنصار من ينادي من جاء بسفيان فله عشرة الآف درهم[٢٦]عن سفيان الثوري بسنده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (جميع أعمال بني آدم نحضره الملائكة الكرام الكاتبون إلا حسنات المجاهدين في سبيل الله ، ،فان الملائكة الذي خلقهم الله يعجزون عن إحصاء حسنات أدناهم [٢٧]). روى سفيان (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهز غازياً أو حاجاً أو خلفه في أهله او فطر صائماً ، فله مثل اجره من غير أن ينقص من أجره شيئاً)

وعن سفيان ايضاً جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حميه ،ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله ؟ فقال : (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله) [٢٨]

---

٢٦ – المهدي جودة ، بحار في مناقب اعلام الصوفية ، بيروت ١٩٦٩، ص٧٠.٨٠

[٢٧] – عبد الحليم محمود ، سفيان الثوري امير المؤمنين في الحديث، ص٧٠.٧٤

[٢٨] – المصدر نفسه ، ص٧٥

الفصل الثاني : العبادات عند سفيان الثوري

تصوف سفيان الثوري وعباداته

اراء العلماء في مناقب سفيان الثوري

كراماته

تصوف سفيان الثوري وعباداته

انهمك الإمام الثوري في تعبده لله تعالى ولا يكاد يشغله عنه سوى العمل في الحديث النبوي الشريف ، وعِد الثوري العبادة (حرفة) ليس بمعنى ممارستها على أساس التعدد ، بل على وفق شروط لا تصلح إلا بها ، منها ماجاء بقوله (العبادة حرفة: وحانونها الخلوة وآلتها المجاعة) [٢٩] ، إذ تحتاج العبادة إلى الخلوة التي تقطع على العقل والنفس مشاغلهما واهتماما تهما الدنيوية ، حيث تصفو صورة العبودية لله تعالى وتتجلى في أروع الإخلاص ، فليس من مطلع على المتعبد إلا الله ، فلا رياء ولا مجاراة للخلق ، بل عبودية خالصة تامة لله تعالى . أما الشرط الآخر للعبادة فهو الرزق الحلال وأن يمتلك المرء شيئا من القوت الحلال في بيته يتقوت عليه ، فذلك يحول دون حاجته للآخرين . وحاجته للناس تعرضه الى أمر خطير حيث قال الثوري : إذا احتاج المرء فإن أول ما يبذله دينه [٣٠]، وإذا أمتلك قوته لم يتطلع الى غيره ولما كان الخبز القوت الرئيسي للناس ، لذا أذا أردت أن تتعبد فأحرز الحنطة أو قوله (إذا كان لك بر فتعبد وإذا لم يكن لك فالتمسه يعني من الحلال) [٣١]

فضلا عما تقدم في أهمية المسألة ، فإنها تعطي للمرء أيضا فرصة الانغماس في التعبد دون التفات الى المسائل الدنيوية ،ولما سأله أحدهم : أين تطيب العبادة ؟ قال: (أنظر درهمك أين هو ؟ وصلي في الصف الأخير[٣٢] . فليس المرء أن يحرص جاهدا للصلاة في الصف الأول دون أن يتورع في عيشه ورزقه . دون أن يدقق هل ان ما يدخل جوفه وجوف عياله حلال أم حرام فإذا ما أطمأن الى انه من أصل حلال ، فلا يضره شيء إذا صلى في الصف الأخير.)

فهو خير ممن صلى في الصف الأول ولم يتورع ، فالأصل في الأعمال أن تكون من أصل طيب وحلال لإفساد فيها .لقد كانت العبادة والنية لها حاضرة في عقله وخاطرة على الدوام ، فإذا حضر الطعام أمامه أكل منه أكلآ جيدا ، ينوي في ذلك أن يكون عدة له على العبادة [٣٣]

---

٢٩ – الغزالي ، منهاج العابدين ، دار الجيل للطبع والنشر، ٢٠٠٨، ص٩٢

٣٠ – الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ج١ ص٤٨

٣١ – الاصبهاني حلية الاولياء ، ج٧ ، ص١٧

٣٢ – د. موفق سالم نوري ، الإمام سفيان الثوري دراسة تاريخية، ص٣٥.

٢. د. موفق سالم نوري ، الإمام سفيان الثوري دراسة تاريخية، ص٣٥

اراء العلماء في بيان مناقب سفيان الثوري

قال عبدالله المبارك : كنت إذا شئت رأيت سفيان مصلياً ، وإذا شئت رأيته محدثاً وإذا شئت رأيته في غامض الفقه الأمر الذي يعني ان وقته قد وزعه بأسره بين الجوانب الثلاث . حتى كان تعبده بالصلاة من أبرز ما عرف به . فقال عبد الرحمن المهدي : (ما رأيت أعبد من سفيان الثوري)[٣٤]

وكان يقول عن نفسه (انه ليفرح بالليل إذا جاء ، ويحزن بالنهار إذا أقبل ففي هدءة الليل يجد افضل فرصة لعبادة خفية نقية خالصة لا شائبة فيها من رياء) [٣٥]

هذا الليل لم يكن عنده للنوم فيه إلا حظ قليل . روى إسحاق بن إبراهيم ألحنيني [٣٦] كنا في مجلس الثوري وهو يسأل الحاضرين الواحد بعد الآخر عما يصنع ليله فيخبره عما يفعل ، فلما انتهى القوم قالو : وأنت كيف تصنع في ليلك ؟ فقال :(لها عدي أول نومه ما شاءت لا أمنعها ـ يقصد نفسه ـ فإذا استيقظت فلا أقبلها أيدآ) أي لا يعذر نفسه في النوم مرة أخرى من تلك الليلة ، فيقضي بقية ليله في صلاة متصلة حتى الصباح ، فكان يصلي قائمآ حتى تغلبه عيناه ، ثم يصلي قاعدا حتى يتعب فيضطجع ليصلي مضطجعا ويدور أحيانا في بيته ليطرد النعاس من عينه ليداوم على صلاته ، فإذا أصبح الصباح مد رجليه الى الحائط ورأسه الى الأرض كي يرجع الدم الى مكانه ، عسى أن يخفف ذلك مما أصابه من تعب قيامه الليل ، وطالما تورمت ساقاه من كثرة قيامه الليل وطوله [٣٧]ان اهتمامه بالعبادة ولاسيما الصلاة بهذا الشكل الملفت للنظر ، لم يكن طارئا في حياته ، بل انه دأب على ذلك منذ شبابه حتى لفت انتباه بني قومه فناشدوه غير مرة ان يقصر من ذلك[٣٨]

قال علي بن فضيل [٣٩]: انه رأى الثوري ساجداً فطاف حول الكعبة سبع مرات والثوري لايزال ساجدا .وثمة جانب آخر من تعبده يتعلق بصيامه ، فضلآ عن صيام الفريضة . أورد السهر وردي قوله : روي عن سفيان الثوري وإبراهيم بن ادهم كانا يطويان ثلاثا ويفهم من هذه الإشارة ان الثوري كان يواصل صيامه ونعني المواصلة المداومة على الصيام فيفطر مرة واحدة كل يومين أو ثلاثة وعلى الرغم ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يمارس هذا النوع من الصيام الا انه نهى عنه بقية المسلمين لما فيه من المشقة عليهم . وعلى الرغم من نهي الرسول عن المواصلة إلا أن عددا من صالحي هذه الأمة و فضلائها لم يجد بأسآ في

٣- الذهبي سير إعلام النبلاء ، ج٧ ، مؤسسه الرسالة ط١ ، بيروت ١٩٨١،ص ١٨٠.

٣٥ – الذهبي ، سير إعلام النبلاء ، ج٧، ص٢٠٩

٣٦ – إسحاق بن إبراهيم ألحنيني ، من أهل طرطوس قال البخاري عنه في حديثه نظر توفي سنة ٢١٦هـ ، ينظر البخاري تهذيب التهذيب ، ج١ ، ص٢٢٢

٣٧ – ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الأولياء ،ج٧ ،ص٦٠

٣٨ – الذهبي ، سير إعلام النبلاء ، ج٧، ص٢٠٩.

٣٩ – هو علي بن فضيل والد الفضيل بن عياض احد أشهر زهاد هذه الامة ، وكان ل ينظر البخاري تهذيب التهذيب ج١،ص٣٧.

المواصلة لأنهم يجدون القدرة في أنفسهم دون أن تبدو عليهم المشقة ، ومنهم كل من الثوري ، وإبراهيم بن أدهم والإمام أحمد بن حنبل. [٤٠]

إن تفرد السهر وردي بهذه الإشارة عن الثوري لا يضعف منها ذلك ان للثوري أقوالا مهمة في هذا الشأن منها القول الذي أوردناه في أول الفصل العبادة حرفة ، وحانوتها الخلوة ، وآلتها المجاعة .أما قصده من المجاعة هنا ، ان الصيام وإحساس المرء بالجوع من المفاتيح الرئيسة للتعبدالحقيقي مثل هذه الحالة تتخمد الشهوات وتسمو النفس وترتفع حاجتها ، لتصفو في عبادة حقه خالصة [٤١]

إما تعبده بالقرآن الكريم ، فيكاد يكون يوازي تعبده بالصلاة ، فكان إذا دخل شهر رمضان ، ترك جميع العبادات ـ يريد النافلة منها ـ وأقبل على قراءة القرآن ، ولم يقتصر ذلك على مقامه في بيته ، بل ان ذلك مارسه في بيته بل مارسه في إسفاره أيضا ، فكان في طريق مكة يقرأ في المصحف كل يوم ، واذا لم يقرأ فيه فتحه لينظر اليه ثم يطبقه [٤٢].

كراماته

أما عن كراماته فلا نكاد نقلب كتاباً في التراجم والطبقات إلا ونرى التراجم مليئة بذكر الكرامات والخوارق التي أجراها الله على أيدي أوليائه وأصفيائه . .ولا عجب في ذلك لأن الله تعالى اذا أحب عبدا كان سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي بطش بها ، ورجله التي يمشي بها . أعطاه اذا سأله ، وأعاذه إذا استعاذة ـ كما صح في الحديث الشريف. [٤٣]

فما هذه الكرامات التي يكرم الله به أوليائه إلا علامات صدقهم معه وبشائر قربهم منه . ولا يعني هذا انها مقياس الصلاح والتقوى كما يتوهمه بعض العوام ـ ولكن المقياس هو استقامتهم على أمر الله والرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)[٤٤] لذلك اعتبر العلماء الاستقامة رأس كل كرامة فلا عبرة بمن طار عندهم في الهواء ، ولا من مشى على الماء . واتباعاً لتلك الطريقة في التراجم ، اود أن أذكر طرفاً من كرامات سفيان الثوري:

ـ انه عندما أرسل أبو جعفر المنصور في طلب سفيان الثوري الى مكة وكان ابو جعفر في طريقه اليها ، فالتجأ الى الله ، وذهب الى الكعبة المشرفة وأخذ برتاجها ، وقال برئت منه إن دخلها أبو جعفر ، فلم يدخل أبو جعفر مكة إلا ميتا [٤٥]ـ عن عبد الرحمن المهدي [٤٦] قال : ليلة مات سفيان الثوري توضأ تلك الليلة للصلاة ستين مرة ، فلما كان وجه السحر قال : ما أشد

٤٠- السهر وردي ، عوارف المعارف ،عوارف المعارف ، بيروت – لبنان، ١٩٦٦ص٢٢٤.

٤١- د. موفق سالم نوري ، الإمام سفيان الثوري دراسة تاريخية،ص٤٠.٤١.

٤٢-د. موفق سالم نوري ، الإمام سفيان الثوري دراسة تاريخية،ص٤٠.٤١.

٤٣ – د. محمد ابو الفتح البيا نوني ، الإمام سفيان الثوري حياته العلمية والعملية،ص١٥١.

٤٤– المصدر نفسه ،ص١٥١ .

٤٥ – المصدر نفسه ،ص١٥٢

٤٦– هو عبد الرحمن بن حسان العنبري الازدي ويكنى بأبي سعيد ولد سنة ١٣٥هـ وتوفي سنة ١٩٨هـ بعد حياة حافلة بالعلم والعبادة، ينظر الذهبي، سير اعلام النبلاء

كرب الموت قال فخرجت لأعلم أصحابه ،فلما استقبلوني قالوا آجرك الله فقلت : من أين علمتم ؟ فقالوا : إنه ما منا أحد إلا أتى البارحة في منامه فقيل له : ان سفيان قد مات ،رحمه الله [٤٧]

وعن عبد الرحمن قال أيضا: رأيت سفيان في المنام فقلت :ما فعل الله بك ؟ قال لم يكن إلا وضعت في اللحد حتى وقفت بين ايدي الله تعالى فحاسبني حسابا يسيرا ثم أمر لي الى الجنة ، فبينما انا ادر بين اشجارها وانهارها ولا اسمع حسا ولا حركة ، اذ سمعت قائلا يقول : سفيان بن سعيد قال::نحفظ انك آثرت الله على هواك يوماً ، قلت ، أي والله فأخذتني صواني النثار من جميع الجنة[٤٨]

ـ قال أبو نعيم في حليته لما مات سفيان الثوري جاء شيخ أبيض االرأس واللحية حتى أقام على قبره وهو يدفن فقال :ياسفيان آمنت مما كنت تخاف وقد مت على من كنت تعبد والله ما يسرنا أن يلي حسابنا أحد غير الله تعالى ثم لم يرْ فكانوا يرونه الخضر [٤٩]

ـ وذكر أبو نعيم ان عبد الرحمن مهدي يقول ك لما غسلت سفيان الثوري وجدت في جسده مكتوبا (فسيكفيكم الله)[٥٠]

وروى أبو نعيم في حليته عن عبد الرحمن بن يعقوب بن إسحاق المكي ،قال: حدثني شيخ من أهل هراة يقال له عبد الله الهروي ـ رجل صدق ـ قال دخلت زمزم في السحر فإذا بشيخ ينزع الدلو الذي يلي الركن ، فلما شرب أدخل الدلو ، فأخذته فشربت فضله ،فاذا هو سويق لوز لم أذق سويق لوز أطيب منه ، فلما كان في ذلك الوقت ، دخل فسدل ثوبه على وجهه ، فنزع بالدلو مما يلي الركن ، ثم شرب وادخل الدلو ، فأخذت فضله فشربت ، فإذا كان ماء مضرب بالعسل لم أشرب عسلاً قط أطيب منه ، قال فأردت أن آخذ بطرف ثوبه ففاتني، فلما كان في ذلك الوقت دخل وسدل ثوبه ، فلما كانت الليلة الثالثة قعدت قبالة باب زمزم ،فلما كان في ذلك الوقت دخل وسدل ثوبه على وجهه فدخلت فأخذت بطرف ثوبه ، فلما شرب قلت ياهذا أسألك برب هذه البنية من أنت ؟ قال تكتم علي حتى أموت ؟ قلت نعم قال : أنا سفيان بن سعيد فأرسلته وشربت من الدلو فاذا بلبن مضروب بسكر لم أرْ لبنا قط أطيب منه قال : وكانت الشربة تكفيني إذا شربتها لا أجد جوعا ولا عطشا [٥١]

---

[٤٧]– د. محمد أبو الفتح ، الإمام سفيان الثوري حياته العلمية والعملية،ص١٥٢.

٤٨ – ينظر ابن الجوزي ، صفة الصفوة، ج٢، مصر، ١٣٤٠ هص٥٧٠.

[٤٩] – ينظر ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الأولياء ن ج٧،ص٦٢.

[٥٠] – المصدر نفسه ،ص ٦٢.

[٥١] – ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الأولياء ج٧،ص٧٣

المستخلص

ان سفيان الثوري هو شخصية كبيرة في التصوف الاسلامي، لقد ولد سفيان في الكوفة وترعرع في البصرة وله منهج خاص يعبر عنه من خلال اعتبار التوكل مرتبط ارتباطا تاما بالاسباب. ويعتبر سفيان انه على الانسان الصوفي ان ياكل من كسب يده أي انه يحث على العمل من اجل عدم الحاجة الى الاخرين والصدقات لذلك كان يذم اولئك الذين يتقربون من الملوك من اجل غايات تخدم مصالحهم. بالرغم ان سفيان كان متصوفا الا انه كان يعمل ويكسب من كده لذلك كان يعمل بالتجارة ويربح منها لسد رمقه. كان لسفيان الثوري دورا كبيرا في التصوف من ناحية كونه محدثا نال لقب امير المؤمنين في الحديث ، فقد وضع منهاجا مميزا عن غيره فهو الذي يرى ان التوكل على الله ليس بالاتكال على العبادة وترك الدنيا بل اهو امور التوكل الاخذ بالاسباب ، فكان لايأكل الأ من كسب يده ولم يأخذ عطية من الناس ، او السلاطين الذين حكموا في زمانه .

Abstract

Sufian Thawri was one of famous person in Islamic Sufism, he was born in Kufa and grow up in Basra, he has A special approach is expressed by consideringtrustcloselyrelated to fully take the appropriate means. Sufian Thawri believe that the Sufi should live by his own work income and not depend on the ruler donations or others charity.

Thus he was disparage others who had come closer to the rulers in order to achieve personal gain, he despite was a Sufi, he was work in trading to assuage his hunger.

المصـــــادر

١. - الذهبي سير إعلام النبلاء، مؤسسه الرسالة ط١ ، بيروت ١٩٨١

٢. - الشعراني ، الطبقات الكبرى، لمكتبة الآداب (على حسن) ، ١٩٩٣

٣. -عبد الحليم محمود سفيان الثوري، امير المؤمنين في الحديث، دار المعارف، ٦ ٢٠٠

٤. - الاصبهاني ، حلية الاولياء، بيروت ١٩٦٩

٥. - البخاري تهذيب التهذيب، دار العلم، بيروت، ١٩٦٣.

٦. - السهر وردي ، عوارف المعارف ،بيروت – لبنان، ١٩٦٦

٧. - الغزالي ، منهاج العابدين، دار الجيل للطبع والنشر، ٢٠٠٨

٨. - جودة محمد أبو اليزيد المهدي ، بحار الولاية المحمدية في مناقب إعلام الصوفية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨

٩. - د. محمد أبو الفتح ، الإمام سفيان الثوري حياته العلمية والعملية، القاهرة، ١٩٣٨

١٠. - د. موفق سالم نوري ، الإمام سفيان الثوري دراسة تاريخية ، دار الشؤون الثقافية العامة التابعة لوزارة الثقافة العراقية ،٢٠٠٤

١١. - سورة يوسف : الآية ١٠٨

١٢. - ينظر ابن الجوزي ، صفة الصفوة، مصر، ١٣٤٠ هـ.

١٣. - ينظر الإمام النبهاني ، جامع كرامات الأولياء، المكتبة العصرية-بيروت،١٩٧٨

١٤. احمد توفيق عياد ، التصوف الاسلامي ومدارسه واثاره ، مكتبة الانجلو المصرية (د ت)